

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ،

لَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ وَرَحْمَتُهُ اللَّامُتَّاهِي أَنْ لَا يَدْرَ عِبَادَهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمْ. فَبَعَثَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكُتُبَ، لِيُذَكِّرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّقَرُّبِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى سَبِيلِ تَحْسِينِ عِلَاقَاتِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ وَفِقَ مَا رَسَمَهُ لَهُمْ. وَإِنَّ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ يَتَبَوَّأُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَهْمَ مَنْزِلَةٍ وَأَعْلَى مَكَانَةٍ. فَقَدْ اجْتَهَدَ ﷺ طَوَالَ حَيَاتِهِ وَبِكُلِّ مَا لَدَيْهِ لِيُرْشِدَ أُمَّتَهُ وَلِيَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْفَلَاحِ. وَلَمْ يَأَلُ ﷺ جُهْدًا فِي تَقْدِيمِ التَّضَحِّيَّاتِ الْمُنْتَوَعَةِ لَهُمْ، وَشَارَكَهُمْ دَائِمًا سُرُورَهُمْ وَحُزْنَهُمْ. وَلَمْ يَزَلْ ﷺ يَجِدُ وَيَجْتَهِدُ لِمَصْلَحَةِ أُمَّتِهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ»². وَنَفَهُمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي صَفِّ أُمَّتِهِ وَأَنَّهُ مَعَهُمْ دَائِمًا، لَيْسَ فِي الدُّنْيَا فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ قَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا. فَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ الَّذِي ظَلَّ رَغْمَ كُلِّ الْمَعَانَاةِ وَالصُّعُوبَاتِ الَّتِي مَرَّ بِهَا، ظَلَّ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ وَظَلَّ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ. فَحَتَّى لَمَّا فَقَدَ زَوْجَتَهُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَاقَ أَلَمَ فَقْدِ الْأَوْلَادِ، لَمْ يَصْرِفْهُ كُلُّ ذَلِكَ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِأُمَّتِهِ وَلَمْ تَضَعْفُ عِنَايَتُهُ ﷺ بِهِمْ وَلَا تَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ،

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ عَبَّرَ لِأَصْحَابِهِ عَنْ شَوْقِهِ لِأُمَّتِهِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ بَعْدَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،

فَقَالَ: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، فَقَالُوا: أَوْكَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ»³. فَلْتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: لَقَدْ كَانَ فِي عَهْدِ ﷺ أَنَسُ رَأَوْهُ وَعَاشَرُوهُ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ. وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ، أَتَى أَنَسُ بَعْدَهُ ﷺ بِقُرُونٍ، لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَسْمَعُوهُ، لَكِنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُ، وَهُمْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَفْتَدُوا بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَهُ لِأَجْلِ رُؤْيَيْهِ ﷺ مَرَّةً وَاحِدَةً. فَمَا أَعْظَمَ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ الْيَوْمَ مِنْهُمْ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ،

إِنَّا بِإِذْنِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ سَنُذَكِّرُ عِيدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاصِلَةِ بَيْنَ يَوْمِ الْأَحَدِ وَيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ. وَسَتَشْهَدُ كُلُّ بُفْعَةٍ يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَالَمِ بِهَجَّةِ الْاِحْتِفَالِ بِمَوْلِدِهِ ﷺ بِمَا فِي ذَلِكَ فُرُوعٌ مُنْظَمَتِنَا. وَهَذِهِ اِحْتِفَالَاتٌ قَدْ لَقِيتُ اسْتِحْسَانَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَتَشْجِيعَهُمْ. فَهِيَ فُرْصَةٌ يَنْبَغِي اِغْتِنَامُهَا مَا كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْاِسْرَافِ وَالْبَدَعِ. وَقَدْ بَاتَتْ هَذِهِ الْاِحْتِفَالَاتُ مُنْذُ عَصُورِ عَدِيدَةٍ وَسَبِيلَةً لِتَلْقِينِ النَّاسِ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَعْرِيفِهِمْ عَلَى سُنَّتِهِ عَنِ طَرِيقِ دُرُوسِ السِّيَرَةِ وَالْحَدِيثِ وَمَجَالِسِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَصَائِدِ الْمَدِيحِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَنَالَهُمْ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَمَا يَدْعُو رَبُّهُ قَائِلًا: "يَارَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي"⁴، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



³ صحيح مسلم، كتاب الطهارة، ١٢، الحديث رقم (٢٤٩)

⁴ مسند أحمد، ٣٨٧/١٥، الحديث رقم (٩٦٢٣)

¹ سورة التوبة: ١٢٨

² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ٨٦، الحديث رقم (١٩٩)؛ صحيح البخاري، كتاب

التوحيد، ٣١، الحديث رقم (٧٤٧٤)